تصنيف العلوم عند العرب المسلمين

أ.د. رحيم حلو محمد البهادلي
كلية التربية للبنات – جامعة البصرة
rahiemhiloo@yahoo.coom

الملخص :

يتناول هذا البحث دراسة مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية ، وهو تصنيف العلوم لدى فلاسفة المسلمين وعلمائهم ، ذلك العلم الذي أخذه المسلمون من الحضارات الأخرى سيما اليونانية منها ، فأخذوا منهم شيئاً من تصانيفهم واستحدثوا مفردات أخرى وبما يقتضيه الواقع الإسلامي ، فبعد أن كانت التصانيف لدى فلاسفة اليونان تصور علومهم القديمة أصبحت تصانيف المسلمين تضم العلوم اليونانية القديمة والعلوم الإسلامية كقسمين متوازيين ، وقد نبغ في ذلك مجموعة من علماء المسلمين الذين سنتطرق إلى قسم منهم كأنموذج لهذا المظهر .

كلمات مفتاحية: تصنيف، العلوم، العرب.

Classifcation of science among Arab Muslims

Prof.Dr.Rahiem Hiloo Mohammad Al Bahadely
college of Education for women– Uneversiry of Basra

Abstract

This research dealt with the appearance of the manifestations of the Islamic civilization is the classification of science with the philosophers of Muslims and their flag that science taken by Muslims from other civilizations especially the Greek ones , they took some of their classification and developed other vocabulary and required by the Islamic reality after the classification of the philosophers of

Greece , the categories of Muslims include the ancient Greek science and Islamic science as two parallel science . We may mention a group of Muslims scholars who will refer to the as a model of them .

Key words : Category ,Science ,Arabs .

المقدمة :

للحضارة العربية الإسلامية ألوان وفنون متعددة من النظم والرسوم والمعارف والعلوم ، بعضها جاء بها الإسلام وغيرها اقتبسها العرب المسلمون عن طريق البلدان المفتوحة شرقاً وغرباً ، وبعضها الآخر جاء وافداً من مفردات الحضارة الرومانية واليونانية والأوربية وسواها ، ولا ضير في ذلك لأنَّ أصل الحضارات يبنى على أنقاض الحضارات السابقة أو الاحتكاك المباشر بها ؛ فالحضارة الإسلامية كانت مبنية على ثلاثة روافد من روافد الحضارة العالمية ، وأول تلك الروافد هي مفردات حضارة العرب قبل الإسلام ، وثانيها مفردات حضارة البلدان المفتوحة وما جيء به من مفردات حضارية بفعل الاحتكاك الاجتماعي أو التجاري أو الفكري مع تلك الدول وغيرها ، بعد صقل تلك المفردات بما يتلاءم ويتناسب مع أصول الدين الإسلامي الحنيف ، وثالثاً المفردات التي جاء بها الإسلام وهي كثيرة جداً ، ومبنية بالدرجة الأساس على القرآن الكريم وعلومه المتنوعة ، وعلى الحديث النبوي الشريف وعلومه ، وأحاديث عظماء أئمة المسلمين وأقوالهم ، وما نقل من اثر عن الصحابة الكرام، فجميع ذلك قدّ شكل حضارتنا الإسلامية .

ونستطيع القول إنَّ العلوم كثرت وتنوعت في عالمنا العربي بعد ظهور الإسلام ، فلم يقتصر العرب على العلوم المتواضعة التي كانوا يزاولونها قبيل الإسلام ، إذ أن متطلبات المرحلة الجديدة حتمت عليهم استيعاب الواقع الجديد

، فانتقلوا فيها من مجتمع بسيط ومنغلق إلى مجتمع واسع معقد مترامي الأطراف ، ودخول أجناس وقوميات جديدة ، ومعارف متنوعة من البلدان الأخرى ، فكان ذلك مسوغاً أن تظهر علوم متنوعة على الساحة العربية والإسلامية ، بعضها علوم قديمة عربية ، وغيرها علوم من مختلف القوميات الأخرى الوافدة ، فضلاً عن استحداث علوم متنوعة جاء بها الإسلام ، كل ذلك حتم على الفرد العربي المسلم أن يقوم بمحاولة جادة إلى تصنيف العلوم المتوفرة إلى أقسام وفروع قد تشترك وتختلف من علم إلى آخر ، ولكنها مع ذلك كانت محاولة جادة في الوقوف على جميع تلك العلوم والتعامل معها ، وسوف نتناول تلك التصانيف على النحو الآتي :

تصنيف العلوم :

التصنيف في اللغة من الفعل صنف ، والصنف هو طائفة من كل شيء ، وهو تمييز الأشياء بعضها من بعض (١) ، أو أن الصنف هو النوع والضرب (٢) ، قال ابن منظور : " الصنف والصنف ، النوع والضرب من الشيء ، يقال : صنف وصنف من المتاع لغتان ، والجمع أصناف وصنوف ، والتصنيف : تمييز الأشياء بعضها من بعض ، وصنف الشيء : ميز بعضه من بعض ، وتصنيف الشيء : جعله أصنافا " (٣) .

أما اصطلاحاً فالتصنيف هو على وصف أحد الباحثين : " هو عملية ترتيب التصورات فيما بينها وهو عملية منطقية تراعي ترتيب الأجناس والأنواع حسب درجة عموميتها ، ومن هذه الناحية يتقاطع التصنيف مع التعريف ، لأن التصنيف يتم بالجنس والفصل ، والتصنيف يدل على معرفة الجنس ، ومنه فتصنيف العلوم هو ترتيب معين لها حسب درجة عموميتها وكيف تندرج تحت بعضها " (٤) .

ويعرف الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) تصنيف العلوم بقوله : " قصدنا أن نحصي العلوم المشهورة علماً ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، وأجزاء ما له منها ، وجمل ما في كل واحد من أجزائه " (٥) .

ويعطي طاش كبري زادة (ت ٩٦٨ هـ) تعريفاً واضحاً ملما لتصنيف العلوم بقوله : " هو علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى اخصها ليحصل بذلك موضوع العلوم المتدرجة تحت ذلك الأعم ، ولما كان أعم العلوم موضوع العلم الآلهي جعل تقسيم العلوم من فروعه ويمكن التدرج فيه من الأخص إلى الأعم على عكس ما ذكر لكن الأول أسهل وأيسر " (٦)

أما الباحثون المحدثون فقد قالوا في تصنيف العلوم ما نحوا من ذلك إلى حدٍ كبير ، إذ قال الخفاجي ما نصه : " إن التصنيف هو تقسم المعرفة إلى أبواب وفصول وأنواع وأجناس في محاولة لبيان العلاقة التي تربط كلا منهما بالآخر ، موضحاً مكان كل علم بالنسبة للعلوم الأخرى كلبنة في بناء المعرفة ككل ، ويقصد بذلك ترتيب العلوم في مجموعات متميزة وفي تسلسل ، ووفقاً لنظام معين " (٧) .

ويعرف Sayers التصنيف بقوله : " إنَّ التصنيف بشكل عام هو العملية الذهنية والتي عن طريقها يتم ترتيب الأشياء وفقا لدرجة التشابه ودرجة الاختلاف فيما بينها " (٨) .

من جميع تلك التعاريف والأقاويل ، ووفقاً لما سيتم تناوله في الصفحات القليلة القادمة ، تظهر لنا صورة واضحة عن المعنى الاصطلاحي لمفهوم تصنيف العلوم ، لنقول مطمئنين أنه عبارة عن عملية ترتيب وتنظيم للعلوم جميعا القديمة والإسلامية منها ، وفق منهج مبرمج منظم بدقه متناهية إذ يشمل وضع كل علم بجانب وإلى جانبه العلم القريب منه من حيث المضمون والعنوان ، ومن ثم تصنيف فروع تلك العلوم بالطريقة نفسها تحت كل علم

ينضوي تحته ، وفق منهج منظم ثابت قد لا يختلف عن التصنيف العام للعلوم الرئيسة ، وهو بذلك يكون علماً بحد ذاته يتم عن طريق تنظيم وترتيب العلوم وتصنيفها حسب درجة التشابه والتقارب أو درجة الاختلاف ، حتى يفهم القارئ طبيعة تلك العلوم وطبيعة الالتقاء فيما بينها أو الاختلاف الماثل بينها أيضاً ، ومن ثم يتم التعامل مع تلك العلوم وفقاً لذلك التصنيف ، وهو بذلك – أي تصنيف العلوم – يكون علماً يشمل احتواء جميع العلوم الموجودة في ساحة المعرفة العلمية بطريقة أشبه بالعملية الببليوغرافية لتنظيمها .

ومع أن الفلاسفة كانوا أول من عمل بتصنيف العلوم – كما سنتطرق إلى ذلك – إلا أنه لم يكن حكراً عليهم ، الأمر الذي نوه إليه روزنثال بقوله : " إن تصنيف العلوم وعرضها بشكل موسوعات لم يكن حكراً خاصاً بالفلاسفة بل كان مشروعاً عملياً بارزاً " (٩) ؛ لذلك نجد العديد من العلماء من غير الفلاسفة عملوا بتصنيف العلوم خدمة لتصنيف الكتب ومنهم احمد بن طيفور البغدادي (ت ٢٨٠ هـ) في كتابه أخبار المؤلفين والمؤلفات (١٠) ، وابن النديم البغدادي (ت ٤٣٨هـ) في كاتبه الفهرست (١١) .

بيد أن الفلاسفة المسلمين لم يأتوا بشيء جذري جديد في تصنيف العلوم ، كما لم يكونوا ناقلين عن الفلاسفة اليونان فحسب ، بل تفاعلت أذهانهم مع تلك التصانيف اليونانية ، فأعطوها وأخذوا منها الشيء الكثير وبما يتناسب ويتلاءم مع خصوصيات المجتمع والدين الإسلامي الحنيف .

وقبل الحديث عن تصانيف العلماء المسلمين سنلقي نظرة سريعة على تصانيف الفلاسفة اليونان حتى نقف على مدى التأثر بفلاسفة المسلمين وعلمائهم .

لقد كان أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م) أول فيلسوف يوناني عمد إلى تصنيف العلوم آنذاك (١٢) ، وأفلاطون هو أفلاطون بن ارسطن ومعناه الفسيح

، وكان والده من أشراف اليونانيين ، أما ابنه أفلاطون فكان من كبار الفلاسفة (١٣) ، وقد ذكر له ابن النديم مجموعة كبيرة من المؤلفات بمختلف أنواعها المعروفة يومذاك ما بين كتاب وتأليف متنوع ومقالة ونحو ذلك (١٤) .

ويقوم تصنيف أفلاطون للعلوم على تقسيم المعرفة على قسمين رئيسيين هما :

١– عالم المحسوس (الطبيعيات) .

أ- الصور المحسوسة

١. الحيوان .

٢. النبات .

٣. الصناعة .

٤. الفن .

٥. الفلك .

٦. علم الحياة .

٧. تكوين العالم .

٨. علم نظام الكون .

٩– علم الفيزيقيا .

١٠– الكيمياء .

١١– علم وظائف الأعضاء .

١٢– علم الأمراض .

١٣– الطب .

ب– الوهميات – الظلال (خداع الحواس)

٢– عالم المعقول .

أ–المعرفة الرياضية (الرياضيات)

١–علم الحساب المعرفي .

٢–علم الحساب الفلسفي .

ب– المثل (الإلهيات)

١–المعقولات العليا .

٢–المعرفة اليقينية .

٣–الجدل .

مع العلم بأن أفلاطون لم يقم بتشتيت المعارف البشرية إلى فروعها بل يرجع المعارف البشرية جميعها إلى علم واحد ويقول : " إن العلم الحقيقي هو الذي يتخذ الكون كله وجميع أنواع المعرفة موضوعا لدرسه وبحثه " (١٥) وكعادة العلماء الاختلاف في النظريات والمفاهيم والرؤى نرى أن أرسطو طاليس (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م) وهو الفيلسوف اليوناني الشهير قد اختلف اختلافاً جذرياً عن تصنيف أفلاطون لها على الرغم من كونه احد تلامذته ، وأرسطو هو أحد فلاسفة اليونان الكبار ، وكان أحد تلامذة أفلاطون لفترة عشرين عاما ، وبعد وفاة أفلاطون تولى أرسطو زعامة الفلسفة حينما أسس مدرسته الفلسفية الخاصة به ، وبذلك تسمى بالمعلم الأول (١٦)

فقد قسم أرسطو العلوم إلى ثلاث أقسام :

الأول : الإنتاجي .

الثالث : النظري .

وهو يقسم النظري إلى ثلاثة أقسام :

١– العلم الطبيعي

٢– العلم الرياضي

٣– العلم الإلهي (١٧)

ولم يدخل أرسطو المنطق في قسم أو علم معين لأنه يعده آلة العلوم الفلسفية جميعاً وليس جزءاً منها (١٨) ، وعلى ذلك فتصنيف أرسطو للعلوم كان وفق الآتي :

أولا : العلوم النظرية .

١- الهندسة

٢- الفلك

٣- الموسيقى

٤- الحساب

٥- الميتازيفيقيا (الفلسفة الأولى)

٦- الطبيعيات

ثانيا : العلوم العملية .

١- علم الأخلاق

٢- علم الاقتصاد.

٣- علم السياسة : ويشمل الفرد ، الأسرة ، المدينة

ثالثا : العلوم الإنتاجية .

١- الشعر

٢- البلاغة

٣- الجدل (١٩)

فتلك كانت تصانيف فلسفية يونانية لكبار فلاسفة اليونان آنذاك ، وقدّ اعتمدها الفلاسفة العرب والمسلمون وعلمائهم في تصانيفهم المتنوعة ، لكنهم لم يكونوا ناقلين عنها فحسب إنما اخذوا منها ونهجوا نهجها في التصانيف وأضافوا إليها الشيء الكثير ، إذ أن لكل مجتمع خصوصياته في الثقافة والمعرفة والفكر والدين ، فأخذوا من تلك التصانيف ما يتناسب ويتلاءم مع خصوصيات

المجتمع العربي وخصوصيات الدين الإسلامي ، ثم أضافوا إلى تلك التصانيف علوم المسلمين إلى جانب العلوم القديمة ، فأصبحت عملية التصنيف عند فلاسفة العرب والمسلمين عملية ممزوجة ما بين العلوم القديمة والعلوم الجديدة التي ظهرت بظهور الإسلام أو تطورت في ظله .

لقد ظهر في الإسلام العديد من الفلاسفة العرب والمسلمين وعلمائهم الذين اعتمدوا التصنيف أساساً في خدمة عملهم كتصنيف الكتب والمؤلفات مثلاً ، فكان لدينا كماً هائلاً من الفلاسفة المسلمين والعلماء وسنحاول دراسة نماذج منهم تجنباً للإطالة وبما يعطي صورة واضحة لعملية تصنيف العلوم لدى العرب والمسلمين وعلى النحو الآتي :

ويعد **الكندي (ت ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م)** أول مصنف للعلوم في الإسلام (٢٠) ، والكندي هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، إذ هو من سلالة ملوك كندة (٢١) ، والكندي رجل بصري ثم انتقل إلى بغداد ، وفيها تأدب فكان رجلاً فيلسوفاً طبيباً وبرع أيضاً في علوم الحساب والمنطق والهندسة والنجوم (٢٢) ، ولم يكن في الإسلام فيلسوف غيره ، وقدّ حذا حذو أرسطو في التأليف على حد إشارة ابن أبي اصيبعة (٢٣) .

لقد اتبع الكندي في تصنيف العلوم نظاماً جديداً يختلف عن تصانيف الفلاسفة اليونان بإدخاله قسماً للعلوم الشرعية الإسلامية ، مراعياً بذلك خصوصيات المجتمع العربي والدين الإسلامي ، فقد قسم الكندي العلوم على قسمين :

القسم الأول : العلوم الفلسفية القديمة

القسم الثاني : العلوم الشرعية الإسلامية (٢٤)

أ- العلوم الفلسفية القديمة فتتضمن :

١- علم المنطق
٢- علم السياسة
٣- علم مبادئ ما وراء الطبيعة
٤- علم الطبيعيات
٥- علم الأخلاق
٦- علم الرياضيات

ب- العلوم الشرعية وتتضمن :

١. أصول الدين
٢. العقائد (٢٥)

وهو بهذا التقسيم يكون مبتكراً لتصنيف جديد وهو مزج العلوم القديمة بالعلوم الإسلامية الجديدة ، مراعياً بذلك خصوصيات المجتمع والدين الإسلامي ، وتلك فكرة مبتكرة تسجل للكندي . ولم يعتمد الكندي في تقسيمه على فيلسوف معين بل نهل من هنا وهناك ، وبما تقتضيه الحاجة الملحة آنذاك ، فتارة نجد الكندي ينهج نهج أفلاطون في تصنيف العلوم حينما عد علم الرياضيات علما أساسيا في بناء العلوم الفلسفية الأخرى (٢٦) ، وهذا ما وجد عند أفلاطون في أثناء تصنيفه للعلوم بقوله : " إن الباحث لا يبلغ الحكمة إلا إذا درس الرياضيات " (٢٧) .

وتارة أخرى نجد الكندي ينهج نهج أرسطو حينما جعل المنطق آلة ومقدمة لجميع العلوم الفلسفية (٢٨) ، إذ لم يدخل أرسطو المنطق في قسم أو علم معين لأنه يعده آلة العلوم الفلسفية جميعاً وليس جزءا منها كما أوردنا (٢٩) .

ولم يكتفِ الكندي بذلك التقارب مع أرسطو بل ظهر وجه التشابه كثيراً ما بين التصنيفين مع وجود بعض الاختلافات الطفيفة (٣٠) .

وبعد الكندي جاء **الفارابي (ت ٣٣٩ هـ)** ليضع تصنيفاً خاصاً به للعلوم مستفيداً مما سبقه في هذا المجال ، والفارابي هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ التركي الفارابي المنطقي (٣١) ، وهو أحد أركان الفلسفة الإسلامية ومن كبار العلماء الأذكياء (٣٢) ، ولقب بالفارابي لأنه ولد في مدينة فا رياب (٣٣) إحدى مدن بلاد فارس (٣٤) ، ثم ارتحل إلى بغداد ومنها إلى بلاد الشام (٣٥) ، أشار ابن النديم إلى أنه كان من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة ، وقدّ ذكر له مجموعة من المصنفات في الفلسفة والمنطق (٣٦) . وكانت وفاته في مدينة دمشق سنة ٣٣٩ هجرية (٣٧) . ويستند تصنيف الفارابي على تقسيم العلوم إلى قسمين أساسيين وهما

أولا :علوم فلسفية قديمة

ثانيا : علوم شرعية إسلامية (٣٨)

بيد أن الفارابي لم يصرح بوضوح إلى ذلك التقسيم بل نستشف ذلك من كتابه إحصاء العلوم على حد رؤيتنا القاصرة ، ولكن البارز والملفت للنظر أن تصنيفه يحتوي على جانبين مهمين :

العلوم النظرية : وهي التي تحصل بها معرفة الموجودات ، التي ليس للإنسان فعلها ، وتشمل (علم التعاليم ، العلم الطبيعي ، العلم الإلهي) .

أ.العلوم العملية : وهي التي تحصل بها معرفة الأشياء التي من شأنها أن تفعل والقوة على فعل الجميل منها ، وتشمل (علم الأخلاق ، علم السياسة) (٣٩)

وعند العودة إلى كتاب إحصاء العلوم للفارابي نجد انه يتناول في تصنيفه بصورة واضحة علنية العلوم التالية :

١- علم اللسان

٢- علم المنطق

٣- علم التعاليم

٤- العلم الطبيعي

٥- العلم الإلهي

٦- العلم المدني

٧- علم الفقه

٨- علم الكلام (٤٠)

والفارابي بهذا التقسيم يكون من ناحية مقلدا للكندي بإتباعه طريقة التقسيم نفسها من حيث التصنيف إلى قسمين فلسفي وآخر شرعي ، ومن حيث تصنيف الفارابي لعلم المنطق حينما عده آلة ومقدمة لجميع العلوم (٤١) ، الأمر الذي تبناه من قبل أرسطو من حيث التصنيف (٤٢) .

وقيل عن الفارابي بأنه من أصحاب النظرية الأفلاطونية الحديثة (٤٣) ، وربما نعت بذلك لتأثره الكبير بتصنيف أفلاطون للعلوم ، إذ يلاحظ أن الفارابي أعطى أهمية كبرى لعلم الرياضيات حينما وضعه بالمرتبة الثالثة بعد علم المنطق (٤٤) ، وهو يختلف مع أرسطو من حيث تصنيفه للعلوم الطبيعية والإلهية حينما صنفهما في فصل واحد (٤٥) ، بعد أن كانا منفصلين عند أرسطو (٤٦) ، وكذلك عند الكندي (٤٧) .

ولكن ربما هناك ثمة خلط عند الفارابي في تصنيفه لعلمي الفقه والكلام ،إذ صنفهما مع العلم المدني (٤٨) على الرغم من كون العلم المدني ينضوي تحت العلوم الفلسفية القديمة .

ثم جاء إلى عالم التصنيف الفيلسوف الإسلامي الخوارزمي **(ت ٣٨٧ هـ)** ليحدث طفرة نوعية في عالم التصنيف ، والخوارزمي هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف ، فيلسوف وباحث اسلامي من أهل خراسان ، عرف بكتابه مفاتيح العلوم ألفه لأحد الوزراء في عهده (٤٩) .

تميز تصنيف الخوارزمي عما سبقه من المصنفين الإسلاميين بقضيتين ، الأولى أنه قسم العلوم إلى علوم شرعية إسلامية وأخرى علوم فلسفية قديمة ، كقسمين متوازيين (٥٠) ، والثانية أنه قدم العلوم الشرعية الإسلامية على العلوم الفلسفية في عملية التصنيف ، وهذا ما ميزه عن الفلاسفة المسلمين السابقين له (٥١) ؛ لذا فهو يعد أول من قدم من فلاسفة المسلمين العلوم الشعرية على العلوم الفلسفية مراعياً بذلك الخصوصية للعالم الإسلامي بالدرجة الأولى .

قسم الخوارزمي كتابه مفاتيح العلوم إلى مقالتين الأولى اختصت بالعلوم الشرعية الإسلامية ، والثانية اختصت بالعلوم الفلسفية (٥٢) ، ومما ميز تصنيفه أيضاً أنه عد علوم اللغة ، والكتابة ، والنحو ، والشعر، والأخبار، والعروض علوماً متصلة اتصالاً وثيقاً بالعلوم الشرعية (٥٣) ، بعد أن كانت بعضها متصلة بالعلوم الفلسفية عند غيره من المصنفين المسلمين .

أما تصنيف الخوارزمي للعلوم الفلسفية فقد جعل من المنطق آلة ومقدمة لجميع تلك العلوم (٥٤) ، سائراً بذلك على نهج أرسطو . كما كان الخوارزمي يقترب من تصنيف أرسطو قدر تعلق الأمر بمفردات العلم النظري والعلم العملي ، فقد قسم الخوارزمي العلم النظري إلى الآتي :

١- علم الطبيعة

٢- العلم الإلهي

٣-العلم الرياضي

أما تقسيمه للعلم العملي فيتضمن الآتي :

١- علم الأخلاق

٢- علم الاقتصاد

٣- علم السياسة (٥٥)

ونجد الخوارزمي أول من وضع من فلاسفة المسلمين علوم الطب ، والكيمياء ، من ضمن العلوم الفلسفية على النهج الذي كان متبعاً في التصنيف لدى أفلاطون (٥٦) .

أما الاتجاه الآخر لتصنيف العلوم فقد نهجه العلماء المسلمون من غير الفلاسفة وذلك توظيفاً منهم لتصنيف الكتب على أساس العلوم ، ويقوم هذا التصنيف على تقسيم العلوم المعرفية من الإنتاج الفكري وفق روافد العلوم التي تنضوي تحتها ، أو هو كما قيل اتجاه : " يقسم المعرفة بناء على تصورات فلسفية لواضع نظام التصنيف مع اعتماد تقسيم الموضوعات الأساسية ، والعلاقات فيما بينها على الإنتاج الفكري الفعلي في الموضوع " (٥٧) ، وقد مثل هذا الإتجاه مجموعة كبيرة من العلماء سنحاول دراسة تصانيف نماذج لأبرز علماء هذا الصنف تجنبا للإطالة .

لقد كان ابن النديم (ت ٤٣٨ هـ) ابرز من استعمل تصنيف العلوم لخدمة تصنيف الكتب ، وابن النديم هو أبو الفرج محمد بن اسحق بن محمد بن اسحق البغدادي المعروف بابن النديم (٥٨) ، صاحب الكتاب المعروف الفهرست الذي يعد موسوعة علمية ببليوغرافية كبيرة في العلوم والمصادر المصنفة فيها .

ويستند تصنيف ابن النديم للعلوم على تقسيم المعرفة على مقالات ، إذ ضم كتابه عشر مقالات تحتوي كل مقالة على علم معين ، ثم يذكر العلوم الفرعية وفنونها داخل كل مقالة ، وهو أن اغفل بعض العلوم والفروع العلمية داخل تلك المقالات فهو لم ينسَ إدراجها خلال عرضه للتراجم كما نوه إلى ذلك احد الباحثين (٥٩) . ويتضمن تصنيف ابن النديم الآتي :

١- الكتابة والأديان

٢- علم النحو

٣- علم الأخبار
٤- علم الشعر
٥- علم الكلام
٦- علمي الفقه والحديث
٧- الفلسفة والعلوم القديمة
٨- الخرافات والسحر والشعوذة
٩- المذاهب والعلوم القديمة
١٠- علم الكيمياء (٦٠)

ويندرج تحت تلك العلوم الفنون والعلوم الفرعية من تلك الرئيسة ويكون التقارب العلمي هو القاسم المشترك فيما بينها . معبراً بذلك عن منهج قائم على تصنيف المعرفة على أساس تصنيف العلوم كما هو الحال عند الفلاسفة .

وعند التمعن في ذلك التصنيف عند ابن النديم نجد أنه قسم المعرفة عنده على قسمين رئيسيين : الأول العلوم الشرعية الإسلامية ، والثاني العلوم الفلسفية القديمة ، إذ تمثل المقالات الست الأولى العلوم الشرعية أو الإسلامية ، والمقالات الأربعة الأخيرة تمثل العلوم الفلسفية القديمة .

وقد تركت هوية ابن النديم الإسلامية بصماتها على تصنيفه حينما قدم العلوم الشرعية الإسلامية على العلوم الفلسفية القديمة ، إذ خالف كل من الكندي والفارابي في ذلك ، ومتفقاً مع تصنيف الخوارزمي للعلوم .

ونجد عند ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) منهجاً تصنيفياً للعلوم السائدة في عصره دارجاً تحتها أيضاً أهم مصنفات تلك العلوم ، وابن خلدون هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبيلي الأندلسي ، عالم ،

جليل القدر ، ونابغة كبير ومشهور ، نبغ في الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع وعلوم أخرى ، وله مجموعة كبيرة من المؤلفات في شتى العلوم (٦١) .

وتصنيف ابن خلدون يستند على تقسيم المعرفة إلى قسمين :

القسم الأول : ويذهب فيه إلى أن العلوم على صنفين :

الصنف الأول : صنف طبيعي ، يهتدي إليه الإنسان بفكره وعقله ، وهي العلوم الفلسفية .

الصنف الثاني : مأخوذ من الشارع ، لا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول .القسم الثاني : ويقول فيه أن العلوم على صنفين : علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير القرآني ، والفقه ، والحديث النبوي الشريف ، وكالطبيعيات والإلهيات من الفلسفة ، وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم كاللغة العربية والحساب وغيرها . بمعنى أنه قسم المعرفة إلى قسمين علوم دينية وأخرى فلسفية متابعاً بذلك ما سبقه من الفلاسفة والعلماء (٦٢) .

ويتضمن تصنيف ابن خلدون للعلوم الشكل الآتي :

أولا : العلوم الشرعية الإسلامية : وهي التي يسميها ابن خلدون بالعلوم النقلية وتنقسم إلى قسمين

أولا : العلوم الشرعية ، وتتضمن :

أ- علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وتتضمن :

١- علم التفسير

٢- علم أسباب النزول

٣- علم القراءات

١٤- علم الحديث

١٥- أصول الفقه

١٦- الفقه

١٧- علم الكلام

١٨- علم الفرائض

١٩- علم الخلافيات

٢٠- علم آداب المناظرة

٢١- علم الجدل

٢٢- علم المتشابه من القرآن الكريم والحديث النبوي

٢٣- علم التصوف

٢٤- علم تعبير الرؤيا

٢٥- علم إعجاز القرآن الكريم

ت-علم اللسان العربي ، ويتضمن :

٢٦- علم اللغة

٢٧- علم النحو

٢٨- علم البيان

٢٩- علم الأدب

٣٠-ثانيا : العلوم الفلسفية ، وتتضمن :

٣١-علم المنطق ، ويتضمن :

٣٢-القياس

٣٣- المعقولات

٣٤- قضايا

٣٥-البرهان

١- السفسطة

٢- الخطابة

٣- الشعر

٤- الكليات الخمس

أ- **العلم الطبيعي ، ويتضمن :**

١- علم الحيوان

٢- علم النبات

٣- علم المعادن

٤- الأجسام الفلكية

٥- علم النفس

٦- علم السكون والحركة

٧- علم الظواهر الطبيعية

٨- علم الطب ، ويتضمن :

أ- علم الأدوية

ب- علم الأغذية

ت- علم أسباب الأمراض

ث- علم وظائف الأعضاء

ج- علم الحركة

ح- علم الكيمياء

خ- علام الفلاحة

ج- العلم الإلهي ، ويتضمن :

١- الوجود المطلق

٢- الماهيات

٣- الوحدة

٤- الكثرة

٥- الوجوب

٦- الإمكان

٧- أحوال النفس

ت – العلوم العددية ، وتتضمن :

١- علم الارثماطيقي ، ويتضمن :

أ- علم معرفة الخواص

ب- صناعة الحساب

ت- علم الجبر

ث- علم المعاملات

ج- الفرائض الحسابية

٢- الهندسة ، وتتضمن :

أ- علم السطوح

ب- نسب السطوح

ت- علم المنطقات

ث- علم هندسة الأشكال

ج- علم الحيل

ح- علم المساحة

خ- علم المناظر

د- **علم الهيئة والفلك ، ويتضمن :**

١- علم الازياج

٢- علم معرفة الشهور والأيام

٣- علم استخراج مواضع الكواكب

٤- علم السحر

٥- علم الطلسمات

٦- علم السيمياء

٧- علم الموسيقى (٦٣)

وبعد جميع هؤلاء يأتي طاش كبري زادة (ت ٩٦٨ هـ) ليصنف العلوم تسهيلاً لتصنيف الكتب والمؤلفات ، وطاش كبري زادة لقب عرف به واسمه عصام الدين أبو الخير احمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل والمشهور بـ (طاش كبري زادة) ، ولد في تركيا بالتحديد في مدينة أنقرة ثم استقر في القسطنطينية ونبغ فيها في جملة من العلوم ، وله عدة مؤلفات جديرة بالاهتمام (٦٤) .

لقد صنف طاش كبري زادة كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة على ستة أقسام وسمى كل قسم اسم دوحة ، فكانت لدينا ستة دوحات وعلى النحو الآتي :

الدوحة الأولى : في بيان العلوم الخطية ، وتتضمن :

١- في كيفية الصناعة الخطية والعلوم المتعلقة بها .

٢- ما يتعلق بإملاء الحروف المفردة وعلومها .

الدوحة الثانية : العلوم المتعلقة بالألفاظ وعلومها ، وتتضمن :

١- ما يتعلق بالمفردات

٢- ما يتعلق بالمركبات

٣- فروع العلم العربية

الدوحة الثالثة : ما يتعلق بالأذهان ، وتتضمن :٠

١- المنطق

٢- علوم تعصم من الخطأ في المناظرة

الدوحة الرابعة : العلوم الحكمية والنظرية ، وتتضمن :

١- العلم الإلهي

٢- فروع العلم الإلهي
٣- في العلم الطبيعي
٤- فروع العلم الطبيعي
٥- فروع فروع العلم الطبيعي
٦- في العلوم الرياضية
٧- فروع علوم الهندسة
٨- فروع علم العدد
٩- فروع علم الموسيقى

الدوحة الخامسة : علوم الحكمة العملية ، وتتضمن :

١- علم الأخلاق
٢- علم تدبير المنزل
٣- علم السياسة
٤- فروع الحكمة العملية

الدوحة السادسة : في العلوم الشرعية ، وتتضمن :

١- علم القراءة
٢- علم رواية الحديث
٣- علم تفسير القرآن
٤- علم دراية الحديث
٥- علم أصول الفقه
٦- علم الفقه
٧- علم أصول الدين
٨- فروع العلم الشرعية (٦٥)

وتصنيف طاش كبري زادة ذلك بمعنى أنه قسم العلوم على قسمين : علوم شرعية إسلامية وعلوم فلسفية ، شأنه بذلك شأن بقية المصنفين المسلمين ، ولكنه قد يختلف عن سابقيه المصنفين المسلمين بأنه قدم العلوم الفلسفية على العلوم الشرعية ، غير معير أهمية لخصوصية المجتمع المسلم ، وربما متأتٍ ذلك كونه اعتمد تصنيفاً موضوعياً بعيداً عن الانتماء الديني أو القومي ، إذ شكلت العلوم الفلسفية المرتكز الأساس في تصنيفه ، ومع ذلك نجد طاش كبري زادة قد تأثر من حيث الترتيب الداخلي للعلوم على ابن النديم (٦٦) ، ربما يأتي ذلك من التطابق في المنهج إذ كان كلاهما قدّ صنف على أساس توزيع الكتب والمؤلفات بشتى أنواعها .

الخاتمة

كانت هذه المحاولة المتواضعة لتسليط الضوء على أهم تصانيف الفلاسفة المسلمين وعلمائهم من الذين انتفعوا بالتصنيف لتوزيع النتاج المعرفي على العلوم ، بيد أني لا ادعي الكمال فيما كتبت وفيما صنفت ، بل كان ذلك إسهاماً مني في حقل تصنيف العلوم فربما أصبت وربما أخطأت ، لذلك فإن الباب لا زال مفتوحاً لدراسة تلك التصانيف بصورة أوسع واكبر من ذي قبل ، إذ لا شك أن لكل فيلسوف أو عالم حاجة جدية ماسة إلى دراسة مستقلة في حقل تصنيف العلوم ، وهي دعوة إلى جميع الباحثين المختصين في حقلي الفلسفة والفكر الإسلامي إلى الاهتمام إلى ذلك التراث الإسلامي الذي بني على أنقاض الفلاسفة اليونان وأضيف له الشيء الكثير في ظل الإسلام والمسلمين ، فكان نتيجة كل ذلك أن أصبح لدينا تصنيف العلوم علماً قائماً بحد ذاته ينتفع منه الداني والقاصي في حقل المعرفة والعلوم ، ومن الله التوفيق .

قائمة الهوامش والمصادر

١- الفراهيدي : كتاب العين ،(تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي ، وابراهيم السامرائي ، ط٢ ، مؤسسة دار الهجرة – طهران ، ١٤٠٩ هـ) ٧ / ١٣٢ .

٢- الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، (تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ط٤ دار العلم للملاين . بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) ٤ / ١٣٨٨

٣- ابن منظور : لسان العرب ، (نشر أدب الحوزة . قم / ١٤٠٥ هـ) ، ٩ / ١٩٨

٤- مرزوق العمري : تصنيف العلوم عند المسلمين ، (بحث منشور في مجلة الجامعة الاسمرية ، الجزائر ، العدد ١٦ ، السنة ٩) ، ص ٢٩٠ .

٥- الفارابي : إحصاء العلوم ، (تحقيق : د. عثمان أمين ، دار الفكر العربي – مصر ، د . ت)، ص ٣٥ .طاش كبري زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ،(تحقيق : كامل بدري ، عبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة – القاهرة ، د . ت) ، ١ / ٣٢٤ .

٦- محمد حسن كاظم الخفاجي تصنيف العلوم عند العرب ، (بحث منشور في مجلة المورد ، العدد ٣ ، ١٩٨٣ م) ، ص ١٤ .

٧- Sayers: A manual of Classification for Librarians and bibliographers , p ٧٩ .

٨- روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ، (ترجمة د. صالح أحمد العلي ، مكتبة المثنى – بغداد ، ١٩٦٣ م) ، ص ٥٠ .

٩- محمد حسن الخفاجي : مقدمة في التراث الحضاري لتصنيف العلوم ، بحث منشور في مجلة المورد ، العدد الرابع ، ١٩٧٧ م) ، ص ٢١٣ .

١٠- رحيم حلو البهادلي : منهج ابن النديم في كتابه الفهرست ، (ط١ ، دار التميمي – النجف الاشرف ، ٢٠١٦ م) ، ص٥٧ .

١١- ينظر جلال محمد موسى : منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ،(ط١ ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ، ١٩٧٢ م) ص٥٨

١٢- ينظر ابن النديم : الفهرست ، (تحقيق : رضا تجدد ، مطبعة دانشكاه – طهران ، ١٩٧١ م) ، ص ٣٠٦ ؛ القفطي : تاريخ الحكماء (لا يبزك ، ١٩٠٣ م) ص ١٧ .

١٣- ينظر ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٠٦ .

١٤- ينظر الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ١٦ .

١٥- ينظر حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، (ط٣ ، المكتبة الإسلامية – طهران ، ١٩٦٧ م) ، ١ / ٦٧٩ ؛ آليان سركيس : معجم المطبوعات العربية ، (مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي – قم المقدسة ، ١٤١٠ هـ) ، ١ / ٤٢٤ – ٤٢٥ .

١٦- ينظر الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ١٦ .

١٧- حسام الدين الالوسي : دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، (دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ١٩٩٢ م) ، ص ٢٠١ .

١٨- ينظر الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ١٦ .

١٩- خالد الحديدي : فلسفة علم تصنيف الكتب ، (ط١ ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ، ١٩٦٩ م) ، ص ٤٧ .ينظر ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، (ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٩٨ م) ، ص٢٦٠ .

٢٠- ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، (تحقيق : فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية – القاهرة ، ١٩٥٥ م) ، ص ٧٣ .

٢١- ابن أبي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص٢٦٠ – ٢٦١ .

٢٢- ينظر حسام الدين الالوسي : دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، ص٢٠٦ .

٢٣- ينظر زهير الزباني : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ١-٢ .

٢٤- حسام الدين الالوسي : دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤

٢٥- محمد بحر العلوم : الكندي الرائد الأول للفلسفة الإسلامية ومفخرة الفكر العربي ،

٢٦- (مطبعة النجف – النجف الاشرف ، ١٩٦٢ م) ، ص ٩١ .

٢٧- ينظر حسام الدين الالوسي : دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، ص ٢٠٦ .

٢٨- أبو ريان : الفلسفة ومباحثها ، (ط٣ ، دار الجامعات المصرية – القاهرة ، ١٩٧٤ م) ، ص ١٠٦ .

٢٩- ينظر ذلك التشابه والاختلاف في كلا التصنيفين عند حسام الدين الالوسي : دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٩ .

٣٠- ينظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، (تحقيق : نخبة من الباحثين ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة- بيروت ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ، ١٥ / ٤١٦ .

٣١- ينظر ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٢١ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٥ / ٤١٦ .

٣٢- ابن النديم : الفهرست ، ص٣٢١ ؛ آليان سركيس : معجم المطبوعات العربية ، ٢ / ١٤٢٤

٣٣- ينظر ياقوت الحموي :معجم البلدان ،(دار إحياء التراث العربي . بيروت / د . ت) ٤ / ٢٩

٣٤- ينظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٥ / ٤١٧ ؛ آليان سركيس : معجم المطبوعات العربية ، ٢ / ١٤٢٤ .

٣٥- ينظر ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٢١ – ٣٢٢ .

٣٦- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٥ / ٤١٨ .

٣٧- ينظر الفارابي : إحصاء العلوم ، ص ٤٣ .

٣٨- حامد طاهر : نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي ، (بحث منشور في حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة قطر ، ١٩٩١ م) ، ص ٣٨٧ .
٣٩- ينظر الفارابي : إحصاء العلوم ، ص ٤٣ وما بعدها .
٤٠- المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
٤١- ينظر أبو ريان : الفلسفة ومباحثها ، ص ١٠٦ .
٤٢- اوليري : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، (ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب – القاهرة ، د . ت) ، ص ١٥٧ .
٤٣- الفارابي : إحصاء العلوم ، ص ٤٥ .
٤٤- ينظر المصدر نفسه ، ص ٩١ – ١٠١ .
٤٥- ينظر الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ١٦ .
٤٦- ينظر الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ٢٤ .
٤٧- ينظر الفارابي : إحصاء العلوم ، ص ١٠٥ .
٤٨- ينظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، ٢ / ١٧٥٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، (ط٥ ، دار العلم للملاين – بيروت ، ١٩٨٠ م) ، ٥ / ٣١٢ – ٣١٣ .
٤٩- محمد حسن الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ٢٧ .
٥٠- محمد حسن الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ، ص ٢٧ .
٥١- ينظر الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، (المطبعة المنيرية – مصر ، ١٣٤٢ هـ) ص ٤ .
٥٢- ينظر رحيم حلو البهادلي : منهج ابن النديم في كتابه الفهرست ، ص ٦٢ .
٥٣- الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٥ .
٥٤- المصدر نفسه ، ص ٨٠ .
٥٥- ينظر تصنيف أفلاطون عند محمد حسن الخفاجي : تصنيف العلوم عند العرب ص ١٦ .
٥٦- ناهد محمد بسيوني : منطق تصنيف العلوم في نظم التصنيف العربية الإسلامية : قراءة تحليلية مقارنة بنظم التصنيف الغربية الحديثة ،
٥٧- (بحث منشور في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية ، جامعة السلطان قابوس ، سلطنة عمان) ، ص ٧٦ – ٧٧ .
٥٨- ينظر ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، (ط٣ ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٨٠ م) ، ١٨ / ١٧ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، (تحقيق : هلموت ريتر وآخرون ، فرانز ستايمز ، ١٩٦١ م) ، ٢ / ١٩٧ ؛ ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان ، (ط١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند ، ١٣٢٩ هـ) ، ٥ / ٧٢ ؛ أغا بزرك الطهراني : مصفى المقال في مصنفي علم الرجال ، (ط١ ، تصحيح احمد منزوي – طهران ، ١٩٥٩ م) ، ص ٢٣ – ٢٤ .

٥٩- ملكة ابيض : كتب التراجم ومكانتها في دراسة الثقافة العربية الإسلامية ، (بحث منشور في مجلة الفكر العربي – بيروت ، العدد ٢٧ ، ١٩٨٤ م) ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

٦٠- ينظر ابن النديم : الفهرست ، ص ٧ وما بعدها .

٦١- ينظر حاجي خليفة : كشف الظنون ، ٢ / ١١٢٤ ؛ إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،

٦٢- (دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ١٩٥١ م) ، ١ / ٥٢٩ ؛ آليان سركيس : معجم المطبوعات العربية ، ١ / ٩٥ .

٦٣- مصطفى يسري عبد الغني : ابن خلدون مصنفا للعلوم والمعارف ، (بحث منشور في وقائع مؤتمر ابن خلدون ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ،

٦٤- ٢٠١٢

٦٥- م) ، ص ١٠ .

٦٦- ينظر ابن خلدون : المقدمة ، (دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د . ت) ، ص ٣ وما بعدها .

٦٧- ينظر آليان سركيس : معجم المطبوعات العربية ، ٢ / ١٢٢١ ز

٦٨- ينظر طاش كبري زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، ثلاثة أجزاء .

٦٩- ينظر رحيم حلو البهادلي : منهجالصفحة ٦٨ ابن النديم في كتابه الفهرست ، ص ٧٢ – ٧٣